الحضارة الإسلامية .. والتعايش مع الآخر

أ.د/هدي عبد الحميد زكي

أستاذ العقيدة والفلسفة– جامعة الأزهر (فرع السادات)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين اللهم صل وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

من الجدير بالذكر، والعلم الذي لا شك فيه، المتواتر اليقيني بين الناس :

أن الحضارة الإسلامية هي أجل وأعظم الحضارات الإنسانية على الأرض، لا لعلومها فقط ولكن لأنها تشمل كل الأصول والأسس، وما يتعلق بها في حياة الإنسان، في الدنيا واتصالها بالآخرة، وجزاء الجنة فيها ؛ حيث إن كل الأعمال الصالحة هي ممتدة، ليس في غاية الحياة الدنيا وما فيها، ولكن هي إلي ما شاء الله تعالى في جناته.

فكل الأشياء في الحياة لها من الواجبات والحقوق، والأعمال التي تثمر النماء، والصلاح والتحضر بكل قيم نبيلة، وعلوم نافعة، ليعم الخير على الأرض؛ ذلك على حسب طبيعة كل مخلوق.

ومن ثم فإن هذا ليس وضعاً إنسانياً، بل هو من تشريع الخالق عز وجل، البارئ المصور العالم بخلقه ؛ لذلك لقد بلغت القيم الإنسانية قمتها في الحضارة الإسلامية، وإن أجلها وأعظمها حقوق الإنسان في الإسلام ؛ حيث إنها أحكام شرعية، أثبتها الشرع الحكيم للإنسان ؛ تحقيقًا لمصلحته الخاصة، مع مصلحة المجتمع العامة ؛ وذلك لصلاح الأرض ، فهي حقوق متشابكة الأغصان والفروع، كل غصن، وفرع يتوقف على الآخر إلى جذر وأساس تلك الحقوق، التي منه سبحانه الخالق، وإليه سبحانه وتعالى ؛ ولذلك فإن المسلمين في حضارتهم العظيمة، كان لديهم تعبير "**حقوق العباد**"و "**حقوق الله تعالي**"، وهذا يدل دلالة واضحة على تكريم الإنسان وتفضيله على كثير من خلق الله تعالي، مصداقا لقوله تعالى : **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)**[1] ولذلك فهذا التعبير في واقع الأمر أصدق، وأوفي لحياة الإنسان، من المصطلح العالمي **لحقوق الإنسان.**

فقد ختم الله تعالي الرسالات السماوية بالقرآن الكريم، وتولي الله سبحانه بحفظه من التحريف لقوله تعالي : **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [2].

ومن ثم هو شامل وكامل الحياة على الأرض، وللناس كافة إلي يوم القيامة ؛ ولذلك نجد أن عظمة حضارتنا تجلت في التعايش مع الآخر (كما سيتضح)، طالما أن هذا الآخر لم ينصب العداء، ولم يفعل ما يظهر ذلك العداء في فساد للأرض .

فالحرية المسئولة، والعدل، والمساواة، وعدم الإكراه ... وغير ذلك من الأسس في الشرع الحكيم، بوصفها وأصولها الشرعية، هي من لدن حكيم عليم خبير بخلقه. يعملها المسلم بغاية وبنية وبواقع عملي في الصلاح

([1]) الإسراء: آية 70

([2])سورة الحجر: آية 9

DOI:10.12816/0036584

والإصلاح على الأرض ،فوق أية اعتبارات مهما كانت غايته إلاَّ لله تعالى ولذلك فكل لأعمال الصالحة ممتدة إلى ما شاء الله تعالى، فكما هي منه، فإليه وفيه سبحانه وتعالى.

Islamic Civilization & Coexistence with the other

Dr. Hoda Abdel Hamid Zaki

Azhar University (Sadat Branch) -Professor of the Creed & Philosophy

Introduction:

Praise is to Allah and prays and blesses the prophet Mohammed and his family and companions;

It is worth mentioning, and the doubtless knowledge, and the most known among the people that:

The Islamic Civilization is the most glorious and greatest civilization, not because for its sciences, but because it includes all principals and basis, everything relates with it in the man's life in the life and after life, the paradise's retribution, where all the good works consider extendable not only in the life and what it involving, but as Allah wishing in His paradise.

All things in life have duties and rights, work that leading to the outgrowth, the goodness and contemporize with every noble value, useful sciences this leads to the welfare will include the earth according to the nature of every creature. Then, this is not humanistic position, but it is legislation by Allah, the Creator and Illustrator the world with His Creation. So, the humanistic value could reach its pinnacle in the Islamic Civilization, and the greatest rights consider in Islam, that because they're legislative provisions the wise legislation could prove them for the man, to realizing its own interest with the society's benefit. This for the earth's goodness, where they're rights entangled the branches and sprouts, each branch and sprout is depending on the other to the root and the base of such rights that donated by Allah the Creator. Therefore, Moslems in their great civilization were had the expression "**with the worshipers rights and Allah's Rights**". This shows as a clear indication the man's honoring and preferred him/her than many creatures of Allah, this as said by Allah; "*We've honored Adam's sons, We carried them on land and sea, provided them with good things and We preferred them over Our creatures*". So, in fact, such expression considers honest and loyal than the global expression "**of the Human Rights".**

Allah has concluded the Heaven's Messages with the Holy Quran, as Allah assuming its maintaining, as Allah said; "*We have delivered the Quran, and, We shall ever conserve it*".

That, Quran is inclusive and perfect for the life on earth and for all people till the Doomsday. So, our civilization has transfigured in the Coexistence with the other (as will be cleared), as long as such other doesn't focus hostility, and as didn't demonstrate the hostility to corrupt the earth.

The responsible freedom, justice, equality, not coercion and the other basics in the wise legislation within their legislative descriptions and principals are coming from Allah, Who's Wise, Knowing His creatures. Such principals are performed by the Moslem in a practical intention and fact for goodness and to renovate the earth, over any consideration whatsoever, just for Allah. So all the good works of the Moslem are extendable as Allah Desire, as such works from Hi, it will be returned back to Him.

الفصل الأول

مفهوم كلمة حضارة ووقفات في عظمة

الحضارة الإسلامية

إن الثقافة الإنسانية في حقيقة أمرها متنوعة الينابيع، متعددة المصبات؛ لأن الثقافات تتفاعل بعضها مع ومن بعض، وخلال الأخذ والعطاء والتجارب الإنسانية، بالإيجاب والسلب، والنفع والضر، يزداد مضمونها خصوبة وثراء علي مر العصور، والحقب الزمانية ؛ ولذلك فإن الحضارة الغربية، في أعلى ما وصلت إليه، ليست إلاَّ حصيلة لجهد، سبقت إليها حضارات عالمية، تركت بصماتها على تاريخ البشرية، أبرزها الحضارة الإسلامية، سواء اعترفت ذلك أم جحدت كما سيتبين:

مفهوم كلمة حضارة:

لم يتفق العلماء حول مفهوم، أو تعريف كلمة حضارة، في عبارة جامعة مانعة، تحوي ما تعنيه الحضارة في واقع أمرها .

وقد تعددت تعاريف الحضارة بتعدد الخلفيات الفكرية والمذهبية لمن تناول اللفظ بالشرح والدرس.. ولعل الحاضر في الأذهان من معنى ظاهر للحضارة هو التقدم المادي للمجتمع، لكن: هل حقا تقدم المجتمعات البشرية في الحقول المادية هو الحضارة؟ هناك من يرفض ذلك، والمنطق القرآني يرفضه أيضاً .فالبناء المادي عبث لا اعتبار له إذا لم يكن قائماً على أساس القيم الإنسانية المعتبرة وعلى معايير التقوى بالتعبير القرآني "أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون" [سورة الشعراء، الآية:128 إلى131] . فالقوة المادية تكون سبب البطش والطغيان إذا لم تكن منضبطة بقيم دينية صحيحة.

إن الجذر اللغوي للحضارة في المعاجم اللغوية، ترد بمعان عدة أبرزها: الإقامة في الحضر، فالحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى، إلاّ أنّ هذا المعنى اللغويّ ليس هو المقصود حين الكلام عن الحضارة في النصوص الفكريّة والتاريخيّة والسياسيّة المعاصرة، إذ أصبح لكلمة الحضارة مدلول اصطلاحيّ جديد مختلف عن المدلول اللغويّ الأصليّ..

وقد كان ابن خلدون تـ 808 هـ أول من عرف الحضارة اصطلاحا فقال: "هي تفنّن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه(أي الترف) من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله.. وهذا تعريف التزم عموما المعنى اللغويّ لكلمة الحضارة.

وكذلك كانت البداية للمعنى الاصطلاحيّ للحضارة في الدراسات الأوروبية في فرنسا تحديدا سنة 1734، إذ كان أولا بهذا المعنى الوارد عند ابن خلدون، باستخدام كلمة "Civilisation" للدلالة على صفات أهل المدينة، تمييزا لهم عن أهل الأرياف.

ولكنّ هذا المعنى أخذ يتغيّر بعد ذلك، حين انتشر المصطلح في اللغات الأوربّيّة الأخرى غير الفرنسية وصار يعني «مجموعة من النظم القمينة بإشاعة النظام والسلام والسعادة، وبتطوّر البشريّة الفكريّ والأدبيّ، وبتأمين انتصار الأنوار»، والأنوار في مفهوم مفكِّري القرن 18 هي الثقافة الأوروبّيّة والمفاهيم الجديدة الّتي أحدثتها الثورة الصناعيّة . »ففي ذروة العصر الّذي كان الأوروبّيون يهيمنون فيه على العالم فكريّاً وسياسيّاً جرى تصوّر الحضارة بصيغة

المفرد»، أي ما يتميّز به المجتمع الأوروبّي من خصائص، أما غيره من المجتمعات فتنتفي عنه ومنه صفة الحضارة والتحضر.

إلاّ أنّ المفكّرين والكتّاب الأوربّيين –خاصة المؤرّخين منهم– بدأوا منذ القرن 19 يستخدمون المصطلح– civilization–للدلالة على ما تملكه أيّةُ أمّة من الأمم من خصائص تتميّز بها عن الأمم والشعوب الأخرى .وهكذا بدأ الحديث عن "الحضارات" بدلاً من الحضارة الواحدة. فمثلاً يقول الروسي "نيقولاي دانيليفسكي"(1822–1885):

«ليس هناك حضارة واحدة، وإنمّا هناك طُرز من الحضارات لكلّ منها خصائصها ومميِّزاتها.«..

فبعد أن كان لفظ الحضارة المصطلح دالا على مواصفات أهل المدينة تفريقا بينهم وبين أهل الأرياف، أصبح يدل على مميِّزات الدول المنظَّمة ذات الثقافة العالية والعلوم المزدهرة –وهو مفهوم القرنين 18 و19 لدى الدول الأوروبّيّة– ثمّ أخيراً صار يدل على أنماط المجتمعات البشرية الّتي شهدها التاريخ بصرف النظر عن مدى ثقافتها وعلومها، فحتّى الأقوام المتوحّشة كانت لها حضارتها الّتي تصوغ عيشها.

وبالرجوع إلى المصادر الإسلامية نجد تعريفا مميزا للحضارة للعلامة بن خلدون فيقول:

(إن الحضارة هى نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار ,ويضفى على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة , وإدارة شئون الحياة والحكم , وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية)

لكن في مفهومها العام الارتقاء بحياة الإنسان، وفكره وتحسين ظروفه المعيشية على الأرض، والتي هي الآن البناء الاجتماعي الحديث، القائم على التقدم التكنولوجي، في كل مناحى الحياة : العلمية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية ...وما يتعلق بكل ذلك من أصول الحياة.

وقفات في عظمة الحضارة الإسلامية:

إن الدين الإسلامي : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأصولها العقيدة، والشريعة والأخلاق، وما أوجبه الشارع الحكيم فيها ... كل ذلك الأساس الذي انبعثت منه الحضارة الإسلامية العريقة.

ولولا الحضارة الإسلامية لما كان للحضارة الغربية وجوداً، يبين ذلك الوقفات التالية :–

<u>الوقفة الأولي</u>:.....

(عظمة الإسلام من مهده)

إن عظمة الإسلام تتضح في مهده ؛ وبيئة نزوله، وأحداث زمنه، فالنشأة كانت في الجزيرة العربية، بظروفها البيئية القاحلة الجافة، والوعرة، والتي لم تكن بعواملها الطبيعة والبيئية، مهيأة لنشأة أية حضارة، ولا حتى قيام دولة، فكانت عبارة عن قبائل متفرقة، بينهما العصبيات والمنازعات، وفي كثير من الأحيان الحروب والتقاتل، ما يجعل تلك البلاد غير آمنة، كذلك أهلها كانوا في جاهلية، وظلمة من العصبيات الشديدة.

لكن الله تعالى أراد أن تنزل الرسالة الخاتمة، على أعظم رسله وخاتمهم، سيدنا محمد ρ، بينهم، فألف بين هذه القبائل، وبإعجاز رباني في بضع سنين انتشر الإسلام فأصبحت تلك البلاد هى المنبع لأعظم حضارة سادت

على الأرض؛ لذلك قال الله تعالى :**(لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)** [1] فكان أول الأسس لقيام الحضارة الإسلامية، من أول أمر نزل على رسول الله ρ في قوله تعالى:(اقْرَأْ) [2] فبرسوخ العقيدة، وعقدها في القلوب، وبسمو الأخلاق دانت لهم البلاد، وأشرقت نور الحضارة الإسلامية في العالم.

الوقفة الثانية: في الفتوحات والدعوة الإسلامية :

إن عظمة الحضارة الإسلامية أنها جابت الأرض، بالحكمة والموعظة الحسنة وإذا كان من جدال، فهو بأحسن القول، والقدوة الحسنة وبالمثل العليا ؛ ولذلك ما إن شارف القرن الثاني الهجري على الانتهاء، إلاَّ وكانت الفتوحات الإسلامية، قد بلغت أقصاها من الشرق، حتى وصلت بلاد الهند، وتخوم الصين، ومن الغرب حتى شملت الشمال الإفريقي، وشبه الجزيرة الأيبيرية، ثم واصلت تقدمها حتى سهول فرنسا، وقد تم سيطرة العرب على البحر المتوسط، وجزره، بدخولهم جزيرة صقلية 878م.

لذلك من الجدير بالذكر : الغاية من تلك الفتوحات:

يتضح ذلك في قوله تعالى: **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)** [3]

ومن ثم لم تكن غايتهم قط إلاَّ تبليغ الأمانة، لوصول الإسلام للناس كافة، فمن شاء، آمن ومن شاء ظل على ما هو عليه، فلم يعرف عنهم أن كان هدفهم الهيمنة، أو السيطرة والاستيلاء على خيرات تلك البلاد ، بل على النقيض، فكانوا مصدر رخاء وسعادة لهم وكان ذلك واضحاً، وثابتاً في حسن تعايشهم، مع أهل تلك البلاد، من الديانات المختلفة، وهم ذات ثقافات مختلفة، في كثير من العلوم، والفنون والصناعات .

ومن ثم أقوي الأدلة على ذلك أن المسلمين، في أزهى حضارتهم، وقوتهم، وهيمنتهم في تلك البلاد، يحرصون على البحث عن كل علم نافع في الحضارات السابقة، التي كانت لديهم ويبذلون كل الجهد والمال، بالاستعانة بهم في البحث والترجمة، وقد بلغ احترامهم وتقديرهم للعلم آنذاك، أن الكتاب بقدر ما فيه من علم، كان يباع بوزنه ذهباً .

كذلك من أقوي الأدلة : أخلاقهم الإسلامية العظيمة، التي لم تكن في أية حضارة أخرى وهي الأمانة العلمية، حيث إنهم كانوا ينسبون العلوم لأصحابها ويرجعون الفضل لأهله، رغم قوتهم وسلطانهم، وإضافاتهم العلمية العظيمة، على هذه العلوم، في أصولهم الإسلامية، وإبداعهم في شتى العلوم.

ومن الغريب أن علوم تلك البلاد على الأكثر، كانت في حكم العدم بالنسبة لأهلها، فعلى الأكثر كانوا يجهلونها، فقط هي في خزانة تاريخهم. وأذكر مما يدل على ذلك، على سبيل المثال والتوضيح:

1-أن جابر بن حيان استطاع أن يظهر علم الكيمياء التجريبية، بصورة صحيحة، بعد أن كان ارتباطها أساساً في الحضارات الأخرى بالسحر والدجل والشعوذة .

2-وإن علم التفاضل والتكامل نشأ على يد "ثابت بن قره"، بالاشتراك مع العالم المسلم " أبو الوفاء محمد البوزجاتى" .

([1])الأنفال : آية 63

([2])العلق: آية 1: 5

([3])آل عمران:110

3–في علم النبات أضاف العلماء ألفى نبات، كما ذكر لما كان يعرفه علماء اليونان من قبل (600 نبات فقط).

4–من الثابت أن أوروبا لم تعرف فكر الفيلسوف اليوناني أرسطو إلاَّ عن طريق ابن رشد الفيلسوف المسلم.

كذلك نبغ المسلمون وأذكر من ذلك، علم الاجتماع الذي يرجع الفضل في نشأته إلى العلامة ابن خلدون، فهو علم استقاه من القواعد والأصول الإسلامية.

كذلك في مجال الطب توصل "ابن النفيس" للدورة الدموية للإنسان، قبل أن يتكلم عنها "**هارفى**" الذي نسب إليه الغرب الآن هذا الاكتشاف ، كما نبغ " **أبو القاسم الزهراوي**" في الجراحة فكان كتابه " التعريف لمن يعجز عن التأليف" مرجعاً يدرس في كليات الطب الغربية على مدي قرون ، كما كان كتاب " المنتخب في أمراض العين" للعالم الطبيب "عمار بن على" أهم كتب طب العيون في زمانه.

وإليه يرجع الفضل، في استخدام الإبرة المجوفة، إزالة ماء العين (الكتاركتا) وفى علوم الطبيعة، كان ابن الهيثم" أول من اكتشف، وتكلم عن قانون الضوء، وألف فيه. [1]

ومن ثم ومن الجدير بالذكر:

أن الثقافة الإسلامية لم تكن ثقافة جمود وانغلاق، وإنما كانت انفتاحاً وتواصلاً مع الثقافات الأخرى لدراسة كل نافع وصالح للناس، وبما في أصوله يرجع إلى الأصول الإسلامية، والفطرية للإنسان فكان لهم السبق والابتكار، والإبداع في أهم العلوم الإسلامية.

الوقفة الثالثة: (الود والتسامح، والتعايش، ووجوه البر والقسط في البلاد المفتوحة). إن الأصل في الإسلام هو : السلم والسلام والأمن والأمان، لقوله تعالى : (**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) [2]

وكذلك لقوله تعالى : (**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**) ؛ ولقوله ρ : **(يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية)** [3]

هذا لأن الإسلام هو دين الحياة الصحيحة، في أسمى صورها، وأرقي حضارة إنسانية تشمل الموجودات على الأرض، وهذا لا ينفى أنه أمر أتباعه بالاستعداد ، والإعداد بالقوة، والعدة والمثابرة، والمرابطة، للجهاد في سبيل الله تعالى لحكمة الحياة الكريمة، وللسلام بين الناس (**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن...**) [4] فمن الجدير بالذكر لأسباب أذكر منها:

أولاً:أن الإسلام دعوة عالمية تقوم على العلماء العارفين بالله تعالى، والمعروفين بين الناس بأخلاقهم الصالحة؛ ذلك لتبليغ أمانة الإسلام للناس كافة على الأرض .

([1]) تابع بتصرف : الإسلام والآخر: (أحمد الجهينى–محمد مصطفي): ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2005 م، من ص 252 : 256.

([2])الممتحنة: آية 8

([3]) الحديث في صحيح البخاري (كتاب التوحيد) باب (28) –وصحيح مسلم بشرح النووي (2) ص 46 ، 47 .

([4]) الأنفال آية 60

ثانياً: أن الدعوة الإسلامية بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال لا يكون في الإسلام إلا بالتي هي أحسن، من العلم والتقوى، والصدق والإخلاص لله تعالى ، لقوله تعالى : **(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** [1]

ثالثاً: لا إكراه على الإسلام، ولا في الدعوة إليه، لكن حمل أمانة التبليغ واجبة على العلماء والحكماء العارفين بالله تعالى، والكثير من الآيات الكريمة تدل على ذلك منها قوله تعالى **(أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)** [2] وقوله تعالى : **(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)** [3]

وقوله تعالى : **(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن...)**[4]

ثالثاً: لقد نهى الله تعالى عن البدء بالقتال، والعداء لهذا الآخر المخالف للدين، والرافض للدخول في الإسلام، والذي يتمسك بدين الآباء والأجداد، إلاَّ لو هو بدأ بالعداء، والقتال، وإن في الفقه الإسلامي أصولاً لذلك، وصفها الشارع الحكيم، ومما يدل على ذلك في كتاب الله تعالى أذكر قوله تعالى : **(وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)** [5]، وقوله تعالى **(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)** [6]، ولقوله تعالى : **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)**[7]

والكثير من الآيات الكريمات.

رابعاً : التعايش مع الآخر بتبادل المصالح، واطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية كذلك وروح التسامح والود الإنساني في رعاية الجوار، والبر، والقسط بهم، وحسن المعاشرة، مما يؤدي إلي القيم الإنسانية في أسمي صورة لها (كما سيأتي).

خامساً : إن العلاقة بغير المسلمين لا تتبدل، إلاَّ إذا عملوا من جانبهم على تمزيق هذه العلاقة، وفعلوا ما يظهر تلك العداوة بالمسلمين، بإعلانهم ضروب الحرب المختلفة، والإيذاء الواضح، عندئذ تكون المقاطعة أمراً شرعيّا وواجباً إسلاميّاً، على حسب وصف الشارع الحكيم لقوله تعالى : **(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ)** [8]

ولذلك ومن الجدير بالذكر أن غير المسلمين ظلوا يتمتعون بروح هذا التسامح ،في تلك القرون الحضارية من عهد الرسول ρ، وعهد الخلفاء الراشدين، فما زالت الأصول الإسلامية والقواعد العظيمة بين المسلمين، على الرغم مما يعانوه من عداوات غربية ظالمة للحقوق الإنسانية، وعلى سبيل المثال أذكر بعضاً من الآيات الكريمة في أمر الله تعالى، بالعدل والإحسان، ووجوب الوفاء بالعهد قال الله تعالى : **(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ**

([1]) النحل آية 125

([2]) يونس آية 99

([3]) الغاشية آية 22

([4]) البقرة آية 256

([5]) البقرة آية 190

([6]) المائدة آية 2

([7]) الأعراف آية 199

([8]) النحل آية 126

بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[1]

<u>وأذكر من صور التسامح، والود، والروح الإسلامية:</u>

أنه عندما كانت مظاهر الحضارة، في كل نواحي الحياة من العلوم والفنون والعمارة والثقافة، والصناعات، فكان مجالس الخلفاء والوزراء والوجهاء، قبلة العلماء والشعراء، والأدباء.

فمن بين روح الود والتعايش بالمعروف والقيم الإسلامية، كما ورد في (نفح الطيب) "للمقريزي": أن المسلمين شاركوا القبط في الاحتفال بأعيادهم، منذ السنوات الأولى للفتح الإسلامي وأذكر كما روي المقريزي : من الأشياء المثيرة للدهشة كثرة عدد الوزراء من اليهود، والنصارى في العصر الفاطمي، وكان ذلك عهد "المعز لدين الله الفاطمي"، الذي أشاع روح التسامح، فقد أنفق من ماله الخاص على إصلاح الأديرة، والكنائس، وهذا ما جعل الكثيرين من المؤرخين المسيحيين يقولون عنه بأنه قد اعتنق المسيحية!!

كما يذكر المؤرخون أن بطرك الأرمن " أغريفوريس " قدم إلى مصر في العصر الفاطمي، وقد أحسن استقباله أمير الجيوش، كما أحسن استقباله البطرك القبطي "كيرلص" وسمح له بالمشاركة في تعيين الأساقفة الأقباط.

ومهما طمس الكثير من الغرب حقيقة ما كان من تفرد وتميز الحضارة الإسلامية وسماتها العظيمة، فإن الأندلس كانت أبهى نموذج حضاري، حتى وصفت بالجنة الأرضية، فمما ذكر عنها:

كان في قصر الخليفة أربعمائة ألف كتاب، وكان سادات أوروبا يفاخرون بما يقتنونه من منسوجاتها، ومصوغاتها المعدنية، وكانت قرطبة، وغرناطة وأشبلية، وطليطلة، ومرسية، ومالقة تستقبل وفوداً من أوروبا في طلب الأدوية، والتحف، وشتى أدوات الترف والزينة ... وغير ذلك كثير[2]

وعلى الرغم من مظاهر الاستعلاء الغربي إلا أننا نجد الكثير منهم : يعترف بتلك الحقيقة فيقول العالم الكبير " كوبلريونج" في كتابه " أثر الثقافة في الغرب" : يجب أن يذكر مسيحي أوربا المعاصرة، بالدين الثقافي العظيم، الذي يدينون به الإسلام، منذ أن كان أجدادهم في العصور الوسطي، يسافرون إلي حواضر الإسلام في إسبانيا العربية خاصة ليتلقوا على أيدي معلميها من المسلمين الفنون، والعلوم، والفلسفة وفي جملة ذلك التراث الكلاسيكي القديم، الذي أحسن الإسلام رعايته، وصانه من الضياع، حتى استطاعت أوروبا أن تسترده وترعاه" [3]

([1])النحل آية من 89: 93

([2])تابع أثر العرب في الحضارة الأوربية : أ . عباس محمود العقاد : ط الهيئة العامة للكتاب (سنة 1998م) –ص90 (بتصرف).

([3]) تابع بتصرف : الإسلام والآخر : من 263: 270 (مصدر سابق) وذلك نقلا من " في تراثنا العربي الإسلامي : من ص 124–126،د./توفيق الطويل سلسلة كتب ثقافية (عدد ثاني) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت –(الإسلام والنهضة)–د/أحمد محمد الطيب – مجلة الهلال سبتمبر 2003 م ص (30).

–الحضارة : ص 80 :سلسلة عالم المعرفة : العدد 237 : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : ط الكويت (الثالثة) سبتمبر 1998م..

وكذلك نشر الأب الصليبي الأسباني " جوان أندريس " بالإيطالية كتاباً جليلاً، في سبعة مجلدات تحت عنوان (أصول كل الآداب وتطورها وأصولها الراصنة 1782م"، ثم نشره في روما منقحاً موسعاً، بين سنتى 1808، 1817 م، في ثمانية مجلدات، وفيه أكد أن النهضة التي كانت في أوروبا في كل ميادين العلوم، والفنون، والآداب، والصناعات مردها إلي ما ورثته عن حضارة العرب، وجاء هذا منه أشبه بإلهام عبقري.

كما أن العرب والمفكرين يضيفون مصدراً آخر، من مصادر نقل الحضارة الإسلامية العربية إلي الحضارة الأوروبية الغربية، ألاّ وهو الحروب الصليبية، التي استمرت من عام 1097، وحتى عام 1291 م بسقوط آخر معاقل الصليبين وفي خلال قرنيين، من حملات الصليبيين، وجدوا أنفسهم أمام حضارة، أسمى بكثير من تصورهم بتلك الأصول الإسلامية.

ومن ثم تأثر العديد منهم بعظمة الحضارة الإسلامية، وعلى رأسهم " أديلار أوف باث" والذي كان من بين المترجمين المعروفين، والواقع البيّن بين العلماء والمفكرين الغربيين في العصور الحديثة، الإنصاف في عديد منهم لعظمة الحضارة الإسلامية، ووجوه استفادة الغرب منها وأصولها في مختلف علومهم، وهذا ليس من المجاملة منهم، ولكن لأنهم لا يستطيعون الإنكار لشموس علومها.

الوقفة الرابعة: أخلاقهم الإسلامية والحفاظ على التراث الحضاري

لقد سبق الحديث أن أول أمر في أول آية نزلت على رسول الله ρ كانت (اقْرَأْ) [1]، ومن ثم تأسست أخلاقهم على حب العلم أينما كان، وقد دفعهم ذلك إلى الحفاظ على التراث الحضاري لتلك البلاد المفتوحة، ومراكز تلقيهم العلم فيها، فحين فتح العرب بلاد فارس، والشام ومصر كانت توجد مراكز هامة للتدريس على الأخص :

مدرسة "حران " و "جند يسابور"، ومدرسة أخري " بالإسكندرية" فقد حافظ المسلمون على تلك المدارس، بل وشجعوا علماءها، واستعانوا بهم، حتى صارت لهم منزلة عظيمة عند الخلفاء المسلمين وولاتهم، بجانب حبهم للقراءة والعلم، دفعهم ذلك إلى فتح مدارس أخري لتعلم لغات تلك البلاد، حتى يتسنى لهم معرفة علومهم، على الأخص " الهندية، والفارسية ، واليونانية ، واللاتينية"

ومما ذكر عن تلك المدارس : أن مدرسة " جنديسابور"، كانت تعني على وجه الخصوص بالطب، والترجمة، وكان من أشهر علماء الطب فيها : "جوجيس " "بختيشوع" وكان طبيبا للمنصور، وابنه " جبريل " طبيب الرشيد المأمون، والعديد من الأطباء النصاري النساطرة ، أما مدرسة " حران":

فقد قيل أن أكثر العلماء فيها، كانوا من الصابئة، واليهود، ومن أشهرهم "ثابت بن قرة " الرياضي، والفلكي،. أما مدرسة الإسكندرية، اشتهرت في تلك الفترة، بعلوم الفلسفة، والكيمياء والعلوم الطبيعية، والفلك.

وكما روي المستشرق "ول ديورانت" ":

لم تحل ديانة جبريل بن بختيشوع " في أن يصبح من أثرياء، الدولة الإسلامية، بل بلغ أن الرشيد كان يمنح هذا الطبيب، هدايا بمناسبة الأعياد المسيحية.

ومن ثم كان الناس بمختلف دياناتهم، يتمتعون بالأمن والسلام والرخاء، والحرية ؛ ولذلك ومن الجدير بالذكر كان ذلك من أهم العوامل لانتشار حركة علمية، وثقافية لم يشهدها أي عصر من العصور. فكانت البصرة، والكوفة، وبغداد، وجند يسابور، وحران، ومصر وغيرهم قبلة للعلم والعلماء العرب، وغير العرب.

وللعدل والمساواة بين الناس في البلاد الإسلامية، لم يكتفوا أن يتقلدوا المناصب الإدارية فى الدولة.

بل كان في عهد كثير من الولاة المسلمين، كانوا يتولون إدارة الكثير من المدارس، من النساطرة، واليهود تارة أخرى، بفضل سماحة المسلمين.

([1]) العلق آية : 1

هذا إلى جانب قيامهم بنصيب كبير في إدارة بلادهم المفتوحة من المسلمين. وقد ساعد الكثيرون من علماء هذه البلاد على ترجمة علومهم للمسلمين، من أمثال: "حنين بن إسحق، وابنه وقسطا بن لوقا، ويوحنا البطريق، .... وكثير منهم" [1]

ولذلك ومن الجدير بالذكر، أن شعوب تلك الأمم انصهروا في حياة المسلمين، فى ظل الدولة الإسلامية، والكثير منهم دخل في الإسلام، طوعاً واختيارا لمَّا وجد فيهم من عدالة، وحقوق، وما عاشوه في أتباعه من سماحة ومروءة، هذا الذي جعلهم يرجعون إلى الأصول الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ليعرفون أصول هذه الحضارة العظيمة.

<u>الوقفة الخامسة:</u> فيما عرفه المسلمون من علوم وأصول فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لقوله تعالى: (**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)**[2].

نجد أن تلك العوامل مجتمعة فجرت طاقات الإبداع، والابتكار في تلك العصور الحضارية.

فانطلق المسلمون مع إخوانهم، من أهل تلك البلاد يأتون بكل جديد، وفريد في شتى العلوم والفنون، والمعارف.

ولذلك لا عجب من عظمة هذه الحضارة فعندما تمسكوا بأصولهم في القرآن والسنة، أن يتقدموا بهذا الوصف المذهل، بل والأعجب من ذلك أن يتفوق على العرب من المسلمين في هذه البلاد، عندما يعملون بأصوله، فيعظم شأنهم فى العلوم الإسلامية، ويصيرون وإلى الآن من أجل وأعظم علماء في الإسلام، على سبيل المثال الإمام البخاري، والترمذي، وابن ماجة فى الحديث، وسيبويه في اللغة العربية.

ومن الجدير بالذكر : أن الأجناس الأخرى، كان لها دور بجوار العرب، فى صياغة الحضارة الإسلامية، منصهرة كلها في بوتقة الإسلام وذلك فى شتى مجالات الحضارة : فى اللغة، والأدب، والفقه، والتفسير، والحديث، والسيرة، والطب والفلك ... [3]

ولذلك كما قال " لغوستاف لوبون" :

" وكان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي، وترك العرب الناس أحرارا في أمور دينهم، وأظل العرب أساقفة الروم، ومطارنة اللاتين بحملتهم ؛ فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقًا من الدعة والطمأنينة " . [4]

---

[1]() تابع الإسلام والآخر: ص126: 135 (بتصرف).

[2]() النحل : آية 89 .

[3]() تابع الحوار شريعة وواقعًا وتاريخيًا : د0 منير محمد الغضبان : ط دار السلام ص 89 (بتصرف).

[4]() تابع حضارة العرب : لغوستاف لوبون : ص 152 (ترجمة عادل زعيتر)

الفصل الثاني

الحكمة الإسلامية في التعايش مع الآخر

تمهيد:

من الجدير بالذكر، والمهم في هذا العصر ، أن نوضح لكل مسلم ومسلمة حقوق الإنسان وتكريمه بوجه عام في الإسلام، ومفهوم الآخر، وهو الذي يتسع مفهومه، ويضيق، على حسب قربه من الدين، أو مدى بعده عنه، وللأسف الشديد أن المسلمين اليوم يعانون أشد معاناة من التفرقة والتشرذم، بسبب عدم إدراكهم لحقوق الآخر، وحقوق الإنسان على وجه عام في الإسلام ، فدائما في عهود الحضارة الإسلامية، وبسبب هيمنة العدل بين الناس كافة (كما سبق توضيح ذلك) كان هذا الآخر، يتغير أمره في أكثر أحواله، إما من عدو إلى صديق، أو إلى مسلم قوى الإيمان يدافع عن المسلمين، بعلمه وعمله.

ولكن المسلمين أنفسهم أصبحوا، في غربة عن بعضهم البعض، بسبب اختلافهم في الفكر والرأي، كذلك فإنهم على الأكثر غابوا عن جوهر الإسلام وأصوله السمحة، حتى في التعامل فيما بينهم كدول، وكأفراد في المجتمعات والأسر؛ ولذلك آثرت في هذا الفصل أن أوضح بقدر المستطاع حقيقة ومفهوم الآخر، والحكمة الإسلامية العظيمة في التعايش الآمن معه، كذلك ومن المهم توضيحه حقوق الإنسان في الإسلام بوجه عام، وما تعانيه الأمة الإسلامية من ظلم، واحتلال وسيطرة وهيمنة على ثرواتها من الدول التي تدَّعى الحضارة ومعرفتها لحقوق الإنسان .

المبحث الأول

الحكمة الإسلامية في التعايش مع الآخر

تمهيد:

من الجدير بالذكر قبل عرض آداب الاختلاف، أن نعرض المفهوم الإسلامي للآخر الذي هو في حقيقته المختلف عن المسلمين، حيث إنه هو جوهر الاختلاف، الذي له من الحقوق والواجبات، والآداب الإسلامية ، فقد أوجب الإسلام حق الآخر في الوجود كإنسان، وضمان العيش له بسلام، كما أقر له حرية الاعتقاد، وحرية ممارسة الشعائر الإسلامية، وإن التاريخ الإسلامي يشهد بذلك، لتطبيق المسلمين هذه الحقوق؛ لقوله تعالى:**[لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]**[1].

وسوف يتبين في الفصل القادم كيف تعامل رسول الله ρ مع المشركين وأهل الكتاب، وكيف أقام ρ جسور التواصل، والتعاون معهم، بالود والإقساط إليهم، ولم يعاملهم بعداء، إلاَّ إذا أصرُّوا على قتال المسلمين.

الآخر لغويًا:

هو مفهوم كلى يتسع مدلوله لغويًا، لكل ما هو: ذات، وغير ذات، يشمل كل الموجود باستثناء الذات المعنية، (لله سبحانه وتعالى).

كذلك فإن الآخر لغويًا: إما أن يكون فردًا مختلفًا، أو مجتمعًا، أو ثقافة مغايرة. [2]

لكن الإسلام ينظر إلى الآخر على أنه فقط المختلف عنه عقائديًا، غير المسلمين سواء كانوا من أصحاب الديانات السماوية السابقة (اليهود والنصارى)، أو غيرهم من أصحاب العقائد الوضعية.

عظمة الإسلام في تجاوز النظرة العنصرية بالآخر:

إن الإسلام، لأنه الدين الذي حفظه الله تعالى، في رسالته العظيمة لقد تجاوز النظرة العنصرية، فهو رسالة موجهة للبشر كافة، قال تعالى:**[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]**[1]؛ فإن المسلمين في حقيقة إسلامهم،

---

[1]() الممتحنة: آية8.

[2]() تابع حوار الحضارات: السيد ياسين: ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2002م ص24 (بتصرف).

عليهم الحقوق، والواجبات للآخرين فلا إكراه لهم على شيء من الإسلام، وقد فصلت الآية الكريمة السابقة ذلك **[لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]**[2]

ولذلك فهذا الدليل يوضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم، هو الخاتم للرسالات السماوية لخصوصية الآخر، بالبر، والقسط إليه ؛ وذلك ليمد الإسلام جسور الود، والتواصل والتعايش السلمي، فإذا وجد الآخر هذه الأخلاق بصورة حيّة في أفعال المسلمين، من البديهي أن يعتقد بالحق ، ويترك ما عليه من كفر .

ذلك أيضًا لقوله تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ]**[3].

<u>وقفة في بعض الأدلة لحقوق الآخر:</u>

أولاً: قال سبحانه وتعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ]**[4] لقد أوجب الله تعالى بعد عبادته سبحانه، ببر الوالدين، دون تحديد بهوية الوالدين، فقد يكونا على عقيدة أخرى، ولم ينقص بواجبهما إلاَّ في عصيانه سبحانه وتعالى.

كذلك نجد أمره سبحانه وتعالى بصلة الرحم بوجه عام، وكما قيل: يحفظ التاريخ نماذج كثيرة لهذه الحالات، فقد كان عبد الله بن سلول كبير المنافقين بالمدينة، وابنه مؤمنًا[5].

ومن ثم ومن الجدير بالذكر فإن هذه الحقوق، ليست بأمر على سبيل الجواز لكنها واجبة الوجوب العيني الضروري في الأسس الإسلامية، بحيث من لم يأتِ بها يكون آثمًا.

قال الله تعالى أيضًا: **[إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]**[6].

ثانياً: قال الله تعالى: **[إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً]**[7].

لقد وضحت الآية الكريمة الحقوق الواجبة، في التعايش السلمي وحقوق الأمانات، والعدل بين الناس، وإجارة المستجير، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، وعلى عدم الاعتداء والظلم في المجتمعات الإنسانية ومن قوله تعالى أيضًا:**[وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ]**[8].

حيث إن كل المعاملات الإنسانية، من الوفاء بالعهد، وعدم نقصانه وحفظ الأمانات والعدل في الحقوق، فذلك يجب إعلاؤه ، ولو على غير المسلمين.

ثالثًا: قال الله تعالى **[هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا]**[9].

وقال تعالى:**[جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا]**[10]. والكثير من الآيات الكريمة توضح حق الآخر في الانتفاع بكل ما جعله الله تعالى في الأرض، وسخره له كغيره من المسلمين، فليس من حق المسلم انتزاع شئ من الحقوق، لكفره فله الحق في موطنه، وعدم الاعتداء عليه، وحرمة مسكنه، كذلك له الحق في التنقل في الأرض أينما شاء.

---

[1]() سبأ: آية 28.

[2]() الممتحنة: آية8.

[3]() الأنبياء: آية107.

[4]() الإسراء: آية23.

[5]() الإسلام والآخر: مرجع سابق

[6]() النحل: آية90.

[7]() النساء: آية58.

[8]() النحل آية91.

[9]() هود: أية 61.

[10]() الملك: آية 15.

رابعًا: قال تعالى: [وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ][1] ؛ ولذلك تبين الآية الكريمة حق الآخر في الأمن والسلام، وكل ما يخص حياته.

ومن ثم فإن الله سبحانه وتعالى لا يفرق في القتل بظلم بين المؤمن والكافر، فلا يستباح دمه، أو تهدر كرامته دون ذنب.

قال الله تعالى:**[مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً]**[2].

ولذلك فالتعايش بين المسلم والآخر، واجب في الإسلام، والتعامل معه أنه النفس التي خلقها الله تعالى، وكرمها، وفضلها على كثير ممن خلق، فنظرة الإسلام له بكونه إنسانًا، ثم باعتباره مؤمنًا أو غير مؤمن، ثم باعتباره صديقًا أو عدووًا، وهكذا طالما أنه لم يبدأ بعداء.

خامسًا: منع إكراهه، أو إجباره على الدخول في الإسلام؛ لقوله تعالى: **[لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ]**[3].

لكن، ومما لاشك فيه أن الواجب على الدعاة توضيح له عظمة الدين الإسلامي وتسامحه، بالحكمة والموعظة الحسنة، كما في قوله تعالى: **[ادعوا إلى سبيل ربك** بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن] [4]

شهادات المستشرقين :

قال إسحاق طيار رئيس الكنيسة الإنكليزية: الإسلام ينشر لواء المدنية التي تعلم الإنسان ما لم يعلمه، والتي تقول بالاحتشام في الملبس، وتأمر بالنظافة والاستقامة وعزة النفس، فمنافع الدين الإسلامي لا ريب فيها، وفوائدها من أعظم أركان المدنية ومبانيها.

وقال واشنطون إيرفنج: القرآن فيه قوانين زكية سنية.

وقال جيبون: القرآن مُسَلَّم به من حدود الإقيانوس الإتلانتيكي إلى نهر الفانج بأنه الدستور الأساس ليس لأصول الدِّين فقط، بل للأحكام الجنائية والمدنية وللشَّرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الإنساني وترتيب شؤونه، وقال أيضًا: إنَّ الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعًا في أحكامها من أعظم ملك إلى أقل صعلوك، فهي شريعة حيكت بأحكم وأعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالمين.

وعلى حد تعبير المستشرق الانجليزي (جب): (إن الاسلام لايزال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمات سامية جليلة. وليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة).

وقالت الكاتبة الإيطالية الدكتورة (لورافيتشا فالييري) في كتابها "محاسن الإسلام": في بلد قفر بوادٍ غير ذي زرع، منعزل عن الإنسانية المتمدنة تفجَّر ينبوعُ ماء سلسبيل عَذْب منعش بين قوم من الهمج، جبابرة غلاظ القلوب، لا يَخضعون لسلطان، ولا يتقيدون بقيد، ذلك الينبوع هو دين الإسلام الذي تدفَّق بغزارة واتَّخذ سبيله في الأرض سربًا، فكان نُهَيرًا، استحال بعده إلى نهر عظيم سرعان ما تفرعت منه آلاف الجداول والأنهار التي تغلغلت في البلاد طولاً وعرضًا، ولم يلبثِ الناسُ أن تذوقوا هذا الشراب العجيب، وشُفُوا من أمراضهم الاجتماعية.

وقال إدموند بوك الخطيب السياسي الإنكليزي: القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه، وهو قانون نسج بأحكمِ نظام قضائي، وأعظم قضاء علمي، وأعظم تشريع منور، ما وجد قطُّ مثله في هذا العالم من قبل.

---

[1] () البقرة: آية190.

[2] () المائدة: آية32.

[3] () البقرة آية : 256.

[4] () الحجرات آية :13.

ويقول رينان : " الإسلام هو دين الإنسان ، فروح الشريعة الإسلامية تتسم بطابع جلى ، هو إفساح أرحب المجالات للأعمال البشرية " ، فأكد المستشرق الإيطالى أن الشريعة الإسلامية استجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية فى الحياة ، و يسر الله على الإنسان بقوله : " يسروا و لا تعسروا " ، و " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " .

فهم ودراسة البنية الفكرية للآخر وأحواله:

يجب على علماء وحكماء الأمة الإسلامية، قبل فتح الدعوة والجدال مع الآخر، التحري والدراسة لما يعانيه من أمراض اجتماعية، وثقافية طبعت فكره على هذا الكفر؛ ذلك لكي يحسن اختيار المدخل، والمنهج للحوار الذي يداويه، كذلك وكل العلل والغايات، التي ثبتت هذا الكفر، فلا يستطيع حامل أمانة دعوته، أن يتحلَّى بكمال الآداب في الحديث والمواجهة معه، والتصبر عليه، بغير ما يعلم على الأقل من محتواه النفسي المريض، فلا تفاهم بينهما إلاَّ بهذه الخطوة الأساسية، وعلى ذلك:

إن أول أساس في إيجابيات الدعوة الخالصة لوجه الله تعالي : هو أن يفهم الدعاة التراكمات الفكرية للآخر، التي أغلقت مداركه العقلية ؛ ذلك لنصرة الحق .

لكن للأسف ما نجده علي الأكثر هو حب المجادل للغلبة وتصيد الأخطاء ، وكذلك نجده يتمتع بعرض قواه الجدلية ، بل والتربص له لرؤيته هفوات الاخر،كما نرى ذلك كثيرًا في مجالس المناظرات، في إبداء حتى المساوئ بين المسلمين بعضهم البعض.

ومن الجدير بالذكر:

أن ذلك ليس من الإسلام في شيء، أن ينوى المحاور أو المجادل، نية انتصاره لنفسه لا لله تعالى ودحض الآخر، لمجرد أنه قد خالفه .

فقد أراد حمل دعوة الحق بلسانه فقط ، وقد حمل قلبه باطلاً.

الحكمة الإسلامية في التعايش مع الآخر:

لقد سبق الحديث أن علاقة المسلم، بالآخر تختلف وفقًا لموقف هذا الآخر من الإسلام والمسلمين، فإذا كان معاديًا، ويهدد فعلاً أمنهم، يجب التصدي له على حسب، وقدر فعله العدائي الواقع ، وهذا له تفصيله في الفقه الإسلامي .

لكن مما يجب علي المسلمين "كما سبق" التعايش الآمن ، طالما أن هذا الآخر لم يهدد أمنهم .

ولذلك فالحكمة الإسلامية عظيمة في عمل المسلمين كل السبل الصحيحة للتعايش مع الآخر منها:-

أولاً: أن يعرف حقيقة الدين الإسلامي: في الحق، والعدل، والرحمة بالناس.

وذلك في أمر الله للمسلمين من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بأحسن القول.

ثانيًا: إذا رأى الآخر تلك الأحوال الآمنة في البلاد الإسلامية، سائدة بين مجتمعاتها، سرعان ما يتحول الكثير منهم ، من الكفر والعداء والسعي بالحيل ، إلى أن يكون أقل عداوة للإسلام وبالتعايش الودي يذهب غيظ قلوبهم، وظلمة كفرهم، للنيل من المسلمين .

ثالثًا: ثم بالتعايش، والرفق واللين، إلى دفاعهم عن المسلمين وعلى مرّ العصور، نجد تلك الصور عديدة.

المهم أنهم بتلك الأخلاق الحميدة يستطيعون أن يتذوقوا حلاوة الإسلام.

رابعًا: من الجدير بالذكر أن علماء وحكماء الأمة الإسلامية هم كالطبيب المداوى، الذي يعلم الداء، وتأثيره على المريض، ويعلم كذلك الدواء، وقدر علاجه، وكذا مباشرته.

لذا يجب عليهم نفس هذا المنهج، بل هم أولى بذلك، فإن أمراض الكفر، لاشك هي الخسران المبين الحقيقي للإنسان في الدنيا والآخرة.

ذلك لأن أحوال الآخر متعددة، بحسب ثقافته والتربية، والنشأة، والظروف الاجتماعية، كذلك والظروف النفسية، فربما لديه من العقد النفسية ، ما أظلمت عقله وقلبه ومداركه النفسية عن التفكير في الإسلام، والتي يعانى منها الكثيرون من الناس، وخاصة في

العالم الإسلامي على وجه الخصوص في (مصر)؛ وذلك مما تعانيه من تدهور في الحياة الفكرية والاقتصادية، .. كل ذلك وغيره مما أثر بدوره على الحياة الاجتماعية ، والسياسية.

وهذه الصور كثيرًة في عصرنا، وهي التي أدت لانتشار الإلحاد بين الناس.

خامسًا: لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في التعايش مع غير المسلمين، كما سيتبين.

فكان ρ يحضر ولائم أهل الكتاب، ويواسيهم في مصابهم، ويعود مرضاهم، ويقف لجنازة أحدهم، ولمَّا سئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال: (أليست بنفس) .

ويعاملهم بالتعايش السلمي، حتى أنه صلى الله عليه وسلم اقترض من أحدهم، ولم يكن عجزًا من أصحابه، فمنهم من كان غنيًّا، وكلهم يتلهف أن يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك.

لكنه ρ آثر ذلك تعليمًا، وتثبيتًا عمليًّا لدعوته لله تعالى، من التعايش الذي يؤدى بدوره إلى تقاربهم منه ρ والتعارف له ρ؛ لتكون ذلك اللبنة الأولى في قلوبهم، بواقع عملي لرؤيتهم المثل الحيَّة في الإسلام.

سادسًا: فالحكمة العظيمة لانتشار الإسلام، دعوة الحق هي: لا صراع بل تعارف وتفاعل، و إعمار الأرض لا إفسادها، فلا يفرض عليهم شيئًا، مع التعميق لفهم الإسلام، وتوضيح مقاصده.

وذلك (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وصدق الله العظيم حين قال:**[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]**[1].

المبحث الثاني

آداب وشروط دعوة الآخر للإسلام

تمهيد:

إن من الأهمية الشديدة في ظل ما يعانيه المسلمون من تفرق، وتشرذم أن يحسن أهل الاختصاص لمجالس الجدال: الحكماء، والعلماء في العقيدة والشريعة، الذين هم القدوة الحسنة في العلم، والتقوى، والفكر السليم، هؤلاء الذين هم دائمًا على بصيرة، ومعايشة لأسلوب والمنهج النبوي الشريف، ذلك أيضًا الذين على علم للمشاكل والقضايا العصرية.

فعلى الداعي المجادل، الذى عهد ببيان الحق، وحمَّل نفسه هذه الأمانة الخطيرة، أن يلتزم دائمًا آداب الاختلاف الإسلامية، وشروطها التى يجب أن يتصف بها.

لأنه من المحزن، وللأسف الشديد، أننا نجد هذه الآداب إلاَّ في القليل من مجالس الجدال، على مستوى العلماء والدعاة، وربما لأن وسائل الإعلام لا تلقى لها اهتمامًا، من كثرة ما تعرضه من سوء الخلاف، وهو المنوط باهتمامها.

ومن ثم يجب أن يقف حامل الحق، الداعي له مع نفسه المحاسب لها، يبين ذلك التالي:

الوقفات الأدبية والشروط التى يجب توافرها فى دعاة الحق:-

الوقفة الأولى :

إكتساب العلم وحده لا يكفي:

1-الحرص الدائم على اكتساب العلم، على قدر الاستطاعة، وأن يكون على بصيرة بعلوم العصر، التى تشكل مشاكل فكرية لدى الآخر، كحرصه أيضًا على العلوم الإسلامية.

2-أن يكون لديه القدرة النفسية على جدال، وفهم الآخر المختلف عن الحق، وتياره الفكري ، بحيث يستطيع أن يحول حدة جداله، والخصومة بينهما إلى حوار هادئ وتفاهم وود إنساني.

---

[1]() الحجرات: آية13.

3-يجب أن يكون دارسًا لطرق الجدال، والحوار ويتمرن عليها؛

4- ولذلك كما قيل: "إن الجدال والمناظرات، من المهارات العقلية التى تحتاج إلى المران والتدريس، والتعليم والدراسة والتعليم [1].

5-يجب أن يكون موهوبًا، حاباه الله تعالى، بالحكمة، وفيوضاتها العلمية، وعلى مر التاريخ عرفنا الكثير ممن منحهم الله تعالى، بفراسة إيمانية، يروا ما لا يستطيع غيرهم معرفته؛ لقوله تعالى **[يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً]**[2].

لذلك ومن الجدير بالذكر أن فراسة الحكيم، من إخلاصه وصدقه لله تعالى في علمه وعمله ونيته، وإرادته، وغايته.

6-إن العالم الحكيم الذى يرى بنور الله تعالى، يعلم بعلم وعين اليقين، أن الحق هو الأمر الثابت بالله تعالى، وأن الباطل لا وجود له في حقيقته، فهو زهوق.

ومن ثم يعلم ضعف خصمه، فى حمله هذا الباطل البيِّن، لقوله تعالى :**[وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً]** [3].

ولذلك يعلم أن في باطل خصمه، كما هو الدليل على ضعفه، هو أيضًا الدليل على الحق.

7-إن العالم الحكيم، يعلم كيف يسمع جدال الآخر، والأدب النبوى العظيم، في الإنصات لما يجيش في نفسه، من كفر كذلك يعرف متى يبدأ جداله، وكيف ، ومن المهم لديه الأدب فيما يجب الخوض فيه، وما يجب فيه الصمت، وإلزامه بعدم الخوض فيه.

فبحكمته ينهى الحديث في مهاترات جدال خصمه، وتفريعاته بهدوء دون أي خسارة، بكلام طيب، وقوة الحجة ووضوح لرؤية الحق.

لقوله تعالى: **[هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]**[4].

8-كما سبق أنه من المهم جدًا على العالم الحكيم أن يكون دارسًا وبالمعايشة الفعلية الأحوال الاجتماعية، والثقافية (كما سبق) التي صبغته بهذا الظلم.

الوقفة الثانية: يجب توفير أفضل الأجواء لإجراء مجالس الجدال، واختيار الزمان والمكان المناسبين لحسن الفهم، كذلك ولكي يستطيع كل من طرفي الجدال، تحمل الآخر؛ وحججه الباطلة ؛ ولذلك من المهم إحاطته بأهم الضمانات، لعدم انحرافه عن الآداب التي يجب عليها.

الوقفة الثالثة: وجوب التحلي بالخصال الإسلامية الحميدة منها:

1- الصدق، وإخلاص القول لله تعالى، والعمل مع التوكل وتفويض الأمر لله تعالى.

وهذا بدوره يؤدى إلى أن يكون متخلقًا بالإقدام، والشجاعة وحب الخير للآخر.

2- أن يكون قلبه سليمًا من أمراض الحسد، والحقد... وغيرها مما سبب ظلمته وقصوره عن أن يكون قدوة حسنة.

ومن الجدير بالذكر أنه كلما كان قلبه سليمًا، كلما كان أثره الطيب على الآخر.

3-أن يتحلى بالصبر، ليستطيع ضبط النفس عند اعتراض الآخر، واستفزازه له، فلا يسارع إلى الاعتراض، فيما يوجه له من ألفاظ مثيرة لغضبه دون أن يتدبر قوله تدبيرًا.

---

[1]) تابع تفضيل ذلك التالي: الإسلام والآخر: أ/ أحمد الجهينى – محمد مصطفى ط الهيئة المصرية سنة2005: ص214: 226- الحوار منهج حياة- د/ الحسين رزوق: ط دار السلام: ص: 3: 49.

[2]) البقرة: آية269.(

[3]) الإسراء: آية 81.(

[4]) آل عمران: آية66.(

4-يجب أن يتحلّى بسعة الصدر، ويكون حليماً، بحيث يعذر المخالف، دون تصويب الخطأ، أو تخطئه الصواب لا ييأس من تنوع المحاولات؛ في تصحيح لسلوكه لديه وأن يكرر محاولات الإصلاح، وينوعها، كذلك، وكيف ييأس الحكيم العارف بالله تعالى، من تكرار المحاولات ويعلم أن الله يهدى من يشاء.

5- أن يتحلّى بالعفو ، والتسامح ، والرحمة ، واللين والرفق قال تعالى : **[فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ]** [1].

وهذه من أهم الآداب التى يجب أن يتخلق بها العالم الحكيم ، فإنه إذ لم يوفق في تبصيره للباطل، فلا يفسد غضبه للحق ، الجانب الإنساني بينهما.

فإن التعايش السلمي هو حبل الإسلام الدائم، والمتين، لتعارف الآخر بحرية على دين الحق وهو ما كان يحرص عليه ρ مع أعدائه دائماً، لقوله تعالى : **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]**[2](كما سبق).

6-إن القدوة الحسنة في التقوى، هى دائماً ما تدرأ المفاسد بينهما ، فليحتفظ ببعض من الود الإنساني.

وكلما كان حليماً ، وتحمل مشقة بيان الصواب له ، بطرق كثيرة مباشرة ، وغير مباشرة كانت له الجنة.

لقوله تعالى: [**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**] [3].

7-الحرص على أن لا يغضب، حتى لا تُفتح طرق الشياطين بينهما ، فليحرص على غلقها على الآخر، حيث يسيطر الشيطان عليه، ليؤثر عليه بكل الحيل ليفسد الحوار بينهما، فكلما كانت وجهته العمل لله تعالى ، تكلم بأحسن الردود وتحولت عداوته إلى أن يكون له الولي الحميم، ومن ثم يوصله بالحكم على نفسه، بما يراه من باطل، ببداهة المنطق ورشد التفكير؛ والمنطق العقلى السليم .

([1]) آل عمران :آية 159

([2]) الحجرات :آية 13

([3]) فصلت: آية34

الخاتمة

اللهم صلى وسلم تسليماً على النبى (صلى الله عليه وسلم)

أختم هذا البحث بحديث عظيم عن الرسول ρ من الأمثلة الحوارية العظيمة، لرسول الله ρ ، كما روى الإمام أحمد والطبرانى، عن أبى إمامة الباهلى:

أن فتى شابا أتى النبي ρ ، فقال : يا رسول الله، إئذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه، فزجروه وقالوا : مه مه! أي رضوان الله تعالى عليهم ، قد تعجبوا من طلبه، أنه غير معقول. لكن رسول الله ρ الرحمة للعالمين، قال له: (أدنه) فدنا فيه قريباً، فجلس فسأله ρ : (أتحبه لأمك؟)

قال: لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك.

قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم).

ثم سأله: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداك.

فقال الرسول ρ : (ولا الناس يحبونه لبناتهم) ثم سأل : (أفتحبه لأختك).

قال الفتى الشاب: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك .

قال ρ : (ولا الناس يحبونه لأخواتهم).

قال ρ : (أفتحبه لعمتك؟).

قال: لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك.

قال ρ :(ولا الناس يحبونه لعماتهم)

قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم).

قال: فوضع رسول الله ρ يده، وقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فَرْجه)

قال : فلم يكن الفتى بعد ذلك ، يلتفت إلى شئ.

وهكذا بحواره ρ ، وببداهة شديدة أوصل الشاب، إلى رؤية الحق بنفسه، وإلى طهارة نفسه حتى من التفكير في هذه المعصية .

ومن هذا الحديث العظيم يتبين الآتى:

أولاً: في أدب الخلاف ، أن يأخذ العالم الحكيم، بيد الآخر المخالف للحق، بضرورة عقلية وبرؤية قلبية إلى التمييز بين الحق والباطل، والحسن والقبيح ، بالحجة والإقناع.

ثانيا: في أدب الخلاف ، يجب حسن الأسلوب، وبلاغة المنطق بما يفهمه الآخر، ويناسب حالته.

ومن ثم إذا لم يتمكن له بوقوفه على الحق، يكفى أنه وضع اللبنة الأولى في توضيح الصواب ليس بالإكراه، ولا بالتقليد الأعمي.

ثالثاً: من الحديث الشريف أيضاً يتبين أن تكليف الإنسان تعنى حريته فكراً وعقيدة، وهما بدورهما يبنيان على العلم، فيجب على العالم الحكيم أن يكتفى برؤيته الصادقة للعلم، الذى يميز فيه بفكره بين الحق والباطل.

وقد ضرب الله تعالى في القرآن الكريم من كل مثل، ليخاطب العقول والقلوب معاً قال تعالى: **[وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً]**[1] فإن العقيدة في حقيقتها، من العقد في القلب ، ولا تتم صحيحة إلاّ بحرية الإختيار، وبمحض الإرادة ، قال تعالى: {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين }[2]

([1])الكهف:آية54

([2])الأنبياء: آية 7

رابعاً: قال الله تعالى لرسول الله ρ : [**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**] [1] فكان ρ رحيماً ليس على الإنسان فقط، لكن على العالمين فلحرصه على هداية الناس يشق على نفسه، لخوفه عليهم ، فنزلت آيات كثيرة تنهى الرسول ρ أن يحمل نفسه هذا العبء الشديد، منهما قوله تعالى: **[طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى]**[2] وقوله تعالى [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً] [3] ومن ثم يتبين حتى الإكراه بالرحمة والحب للآخر، لا يجب لحكمة الله تعالى في حرية التكليف.

8- يجب أن يكون أسلوب المدافع عن الحق بالرفق، واللين وكما سبق ببداهة العقل وضروراته المنطقية فقد خاطب الرسول ρ المشركين بكل رفق ولين، من قوله تعالى: **[قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ]**[4].

وقال تعالى : **[ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق]**[5] فالآيات الكريمة واضحة بوضعها الحق، والباطل بين تدبر عقل الآخر، المخالف للحق ليدبر الأمر فيها تدبيرا.

الوقفة الرابعة: الجدال بالتى هى أحسن:

قال الله تعالي: **[ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ]**[6]

وقال تعالى: { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}[7]

1- فالتى هى أحسن، أن يكتفى بحسن الكلام، بل بالذى هو أحسن الحديث من العلوم المناسبة للآخر، في فهمه، والمؤثرات الباطلة عليه، وكذلك مما جعله يخالف فطرة الله تعالى. وكذلك كل العلل الباطلة، ودواعيها في القلوب ، وكما سبق في الخصال التى يجب أن يتحلى بها حامل الحق، المدافع عنه هى التى تجعله أن يفرق بين الحسن والأحسن بالنسبة للآخر، وما يجب أن يتكلم فيه ، وما يستغرقه من زمن.

2- والذى هو أحسن: أيضا تنويع أساليب الجدال والحوار، على حسب حال المخالف ومقاله، وقدراته العقلية .

3- كذلك فإن التطهير من الباطل يحتاج إلى وقت ، يتحدد بأحوال الآخر، وظروفه وتنوع من المحاولات والجلسات الحوارية لتجدد القبول والفهم، لعل يحدث الله تعالى بعد ذلك أمراً سبحانه وتعالى كان مفعولا.

4- إذا تجرد المدافع عن الحق عن كل هوي من نفسه، وفعل ما يمكنه من بيان الحق قولاً وفعلاً وما يناسب أحوال المختلف فيه ، حمد الله تعالى في السراء والضراء.

سواء كان في حالة الوفاق، أو الاختلاف، وليس الخلاف ؛ حيث احتفظ بما يوجب التعايش السلمي والود بينهما.

وليحرص إذن على دعاء رسول الله ρ لقومه، ممن لم يستجيبوا له ρ : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

5- مهما كانت الخصومة، والخلافات يجب أن يكون خطابه عاقلاً، وأن يبعد عن الاستخفاف في الكلام، ومن أى ألفاظ تُنبئ من قريب، أو من بعيد عن التجريح.

وعلى كل حالة ينبغى أن يكون خطابه، من الإنسانية، في التكريم، وأن يتجنب خطوات الشيطان ونزغاته بينهما ، قال الله تعالى : {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً} [1].

([1])الإسراء 89،90

([2]) طه: آية 1-4

([3])الكهف: آية6

([4]) سبأ: آية 24،25

([5]) المؤمنون: آية 51

([6]) النحل:آية 25

([7]) البقرة: آية 83

فما أصعب الخطوات الشيطانية على الآخر، لإفساد رؤيته للحق؛ ومن ثم على العالم الحكيم الجانب الأكبر من أدب الحوار، والإستعاذة بالله تعالى، وأن يدعو الله تعالى أن يجنبهما معًا خطواته.

يجب على العالم الحكيم أن يعمل بحكمته، على وقف الحوار، بأقل خسارة إذا تحول إلى خروج الآخر عن أدب الجدال، من حيث التشويح باليد، والصوت المرتفع، والألفاظ النابية والشتائم ؛ ذلك إذا لم يتمكن لهدايته.

الحق أينما كان هو الأكبر والملتقى لطرفى الحوار:

الإنسان مهما وصل من علم ، فهو غير معصوم من الخطأ، والسهو؛ لذلك فالخطأ وارد ، مما حمَّل نفسه الحوار فيه ؛ ولذلك العالم الحكيم لا يفرق عما إذا كان الحق معه، أو عند خصمه أو عدوه. والصور كثيرة جداً ، وعظيمة من الصحابة رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان، منها:

كان عمرو بن العاص τ، والياً على مصر في زمن عمر بن الخطاب τ فجاء رجل من أهل مصر، إلى عمر بن الخطاب ، وقال:

يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، فقال عمر: عذت معاذًا، قال سابقت ابن عمرو بن العاص، فسبقته ، فجاء يضربنى بالسوط، ويقول أنا "ابن الأكرمين" ، فكتب عمر τ يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ ثم قال: خذ السوط، فاضرب ، فجعل المصري يضرب ابن عمرو بالسوط ، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين.

قال الراوي: فضرب، والله فما أقلع عنه، حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر لعمرو رضى الله عنهما، قولته المشهورة:

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) :قال : يا أمير المؤمنين لم أعلم، ولم يأتن كذلك من الروايات العظيمة في الأدب الاسلامى العظيم، ما روي عن الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، أنه رأى ولده (حمادًا) يناظر في المسجد، فنهاه، فقال له ولده: أما كنت تناظر؟! قال بلي ولكن كنا كأن على رءوسنا الطير، من أن يخرج الباطل على لسان الخصم، بل كنا نود أن يخرج الحق على لسانه فنتبعه، فإذا كنتم كذلك فنعم[2].

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.
2- صحيح البخارى.
3- صحيح مسلم.
4- صحيح الترمذى
5- أثر العرب فى الحضارة الأوروبية – عباس محمود العقاد – ط الهيئة العامة للكتاب سنة 1998م.
6- أدب الاختلاف : د جمال فتحى نصار : طابعة الشروق الدولية الأولى (1429هـ - 2008 م)
7- الإسلام والآخر- (أحمد الجهينى – محمد مصطفى)- ط الهيئة المصرية للكتاب سنة 2005م.
8- الإسلام والنهضة- د. أحمد محمد الطيب- مجلة الهلال سبتمبر 2003م.
9- (الحضارة) سلسلة عالم المعرفة- العدد (237) المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ط الكويت سبتمبر 1998م.
10- الحوار شريعة وواقعًا وتاريخًا – د/ منير محمد الغضبان د دار السلام (الأولى) 1432هـ – 2011م
11- حضارة العرب – لغوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر – ط الهيئة العامة للكتاب 2002م .

([1]) الإسراء: آية 53

([2]) تابع أدب الاختلاف...د/جمال فتحى نصار ط الشروق الدولية: الأولى: سنة 1429هـ-2008م : ص 78،77 (بتصرف)